الفلوجة..مدينة المجاهدين في العراق

16-7-2004

الحقيقة أن قادة المقاومة في الفلوجة يعتقدون أنهم إذا استطاعوا أن يطردوا القوات الأمريكية من الفلوجة، فإنه بإمكانهم أن يسيطروا على باقي العراق. وبالنسبة لهم، فإن إياد علاوى يمثل مصدر إزعاج مؤقت لهم، ولكنهم الآن مشغولون بطرد المحتل الأجنبي عن البلاد

مواد ذات علاقة

'بعثية' المقاومة..دعاية رديئة لأيدلوجية فقدت مصداقيتها

أصبحت مدينة الفالوجة، معقل حركة المقاومة السنية في العراق، أشبه بمدينة قندهار، معقل حركة طالبان في أفغانستان، حيث يسيطر على الفلوجة قادة الجماعات الإسلامية، وأتباعهم من المجاهدين، ممن يزيد عددهم على عشرة آلاف مقاتل حسا بعض المصادر، مسلحين بالعتاد، ويتحكمون في مصير نصف مليون شخص من أهالي المدينة، التي لا تبعد عن العاصمة بغداد بأكثر من خمسين كيلومتراً. وتتكون المقاومة في الفالوجة من عدة جماعات مسلحة، كل جماعة لها أمير، يقود مجموعة من المقاتلين، يسيطرون على مداخل ومخارج المدينة، التي أصبحت محظورة على القوات الأمريكية منذ شهر مايو الماضي، في أعقاب فشل الحصار الأمريكي لها، والذي استمر قرابة الشهر.

وإلى جانب القادة المحليين وزعماء القبائل، فإن جميع قادة المقاومة هم أيضاً جزء من مجلس شورى المجاهدين، الذي تشكل في الشتاء الماضي، ويقوده اثنان من الأئمة هما عبدا لله جنابي، وظافر العبيدي، وهؤلاء الأئمة يمكن اعتبارهم بمثابة القادة الروحيين للمقاومة في الفالوجة. ويقود عبد الله الجنابي مجموعة تضم بعض رجال المقاومة العراقيين، وبعض المقاتلين المتطوعين من الدول العربية، وكان الجنابى من الأوائل الذين دعوا إلى المقاومة المسلحة ضد قوات الاحتلال الأمريكي خلال العام الماضي. أما ظافر العبيدي، والذي ينتمي إلي مسجد الحضرة المحمدية، فهو يتمتع بنفوذ أقوى من الجنابي، وفتاواه لها تأثير كبير على أتباعه.

لقد أصبحت الفالوجة هي معقل المجاهدين في العراق، حيث تتلقى عناصر المقاومة تدريباتها، وتخفي أسلحتها، ويتم الاتصال بالمقاتلين في الخارج، وتنظيم العمليات، التي يتم تنفيذها ضد أهداف عديدة في مدينة بغداد وحولها. وهناك عناصر مختارة من المجاهدين تقوم بدور حلقة الوصل بين المساجد في كل من الفالوجة وبغداد ومعظم عناصر المقاومة، كما بدأ مجموعة من الشباب في تلقي تدريبات مكثفة منذ مطلع عام 2002، حتى إن بعضهم أصبح خبيراً في استخدام العديد من الأسلحة والصواريخ جو ـ جو، التي أمكنهم تعديلها، بحيث يتم إطلاقها من على الكتف..

لقد رسم المجاهدون ملامح مدينة، أصبحت تحكمها قواعد الشريعة الإسلامية، وقد تكون المدينة خالية من الجنود الأمريكيين، ولكنها خاضعة لحصار غير رسمي من قبل جهاز المخابرات العراقي الذي أنشأه رئيس الوزراء إياد علاوي، وكذا عملاء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وهؤلاء الجواسيس يتم إعدام أي منهم على الفور إذا تعرف عليه أحد أفراد المقاومة العراقية. وهناك الآن ما يبدو وكأنه موسم اختطاف الأجانب والعملاء وقتلهم في الفالوجة، ولم يسلم بعض أهالي الفلوجة من الاتهام بالخيانة والتجسس لصالح قوات الاحتلال، حيث تم القبض على أكثر

من ثلاثين عميلاً للولايات المتحدة خلال الثلاث أشهر الماضية، حيث تواجه عمليات الخيانة والتجسس باستهجان واسع من جانب سكان المدينة.

لقد أصبحت أحكام الشريعة الإسلامية تطبق على نصف مليون عراقي يعيشون في الفلوجة وضواحيها. فعلى امتداد طريق الرمادي ـ الفلوجة المزدحم، كان الشباب العاطل عن العمل معتاداً على الجلوس لشرب البيرة والخمور، وتبادل الأحاديث عن كرة القدم والنساء، ولكن المجاهدين بعد انتصارهم على قوات البحرية الأمريكية وسيطرتهم الفعلية على مدينة الفلوجة، قاموا بتوزيع بعض عناصر المقاومة على أرجاء المدينة لردع هؤلاء الشباب عما يقومون به من أفعال مستهجنة، تأكيداً لهم ولغيرهم على أن الأمور قد تغيرت، وأن المجاهدين لن يسمحوا حتى للأجانب أن يشربوا الخمر.

وهكذا صارت مدينة الفلوجة أشبه بمدينتي كابول وقندهار في أفغانستان في أواخر التسعينات، حيث أصبحت المدينة تحكم بقوة السلاح، ومن خلال الدعم الكامل للمساجد، أما الأمريكيون فهم متمركزون خارج الفالوجة في قاعدتين عسكريتين ببلدة الصقلاوية القريبة من المدينة. وتطلق المقاومة العراقية صواريخها على القواعد الأمريكية بصورة شبه يومية، وذلك رداً على الغارات التي تقوم بها قوات الاحتلال، وتقتل العشرات من المدنيين العراقيين، حيث تواصل القوات الأمريكية، بدعم ومساندة إياد علاوي، قصف الفلوجة بالصواريخ والقنابل الثقيلة. ورغم استعانة الولايات المتحدة ببعض العناصر البعثية من الجيش العراقي السابق بغرض السيطرة على الأوضاع في المدينة، فإن هذه الخطوة فشلت، وبقيت المدينة تحت السيطرة الكاملة للمجاهدين.

لقد أصبحت كل مداخل الفلوجة تحت سيطرة المجاهدين، الذين يتحكمون أيضاً في رجال الشرطة العراقية، ممن تلقوا تدريباتهم على يد الأمريكان، ولا نبالغ إذا قلنا إن معظم الرجال أصبحوا مجاهدين، إما في الحرس الوطني العراقي، أو في الشرطة العراقية، وحتى في أوساط الشعب العراقي بأكمله.

كما أن السلطة العسكرية للبعثيين في الفالوجة أصبحت تحت سيطرة اثنين، وهما جاسم محمد صالح، القائد الأول للواء الفلوجة، وعبد الله حامد، وعلى خلاف ما توقعت مخابرات رئيس الوزراء علاوي، فإن القوات المسلحة البعثية في الفلوجة، لم تقيد نفوذ المجاهدين، بل الذي حدث هو العكس، حيث انضوى البعثيون تحت راية المقاومة وخضعوا لأوامر قادة الجهاد.

ويدافع الإمام مهدى الصمدي، الزعيم السلفي الذي قضى خمسة أشهر في سجن أبو غريب، بدعوى وجود أسلحة مخبأة في مسجده، والذي يعد بمثابة القائد الديني للمقاتلين السنة في كافة أرجاء العراق، يدافع عن المقاومة العراقية المسلحة ضد قوات الاحتلال، باعتبارها الوسيلة الوحيدة المتاحة أمام العراقيين لإخراج المحتل المعتدي، مشيراً إلى ما حققته المقاومة العراقية من نجاحات وامتدادها خلال عام واحد من بعض الأفراد إلى بعض المدن العراقية..ويشير جاسم العيسوي، المتحدّث باسم المجلس السلفي والصوفيّ في العراق، إلى أن العالم يرفض محاكمة وإدانة جرائم الحرب الأمريكية، في حين يتهم بعض العراقيين بأنهم إرهابيون لمجرد أنهم يقاومون قوات الاحتلال الأمريكي، ويؤكد أن المقاومة في الفلوجة قد أثبتت أن آلة الحرب الأمريكية قابلة للاختراق، وأن المقاومة المسلحة فقط هي التي تستطيع إنهاء الاحتلال العسكري الأجنبي.

ومن وجهة النظر السلفية، فإن المقاومة العراقيّة عبارة عن ائتلاف من السلفيين، والصوفيين، والبعثيين، وزعماء القبائل، بدون قيادة موحدة، ولذا تبدو درجة التنسيق فيما بينهم ضعيفة جداً، بخلاف الشورى في الفلوجة. ويعترف السلفيون بحقيقة وجود مقاتلين أجانب في العراق، ولكنهم يقولون إن عددهم لا يزيد عن بضع عشرات من الأخوة العرب والمسلمين، وأنهم مجرد قطرة في محيط المقاومة.

ولكن ما الأهمية التي تمثلها الفلوجة؟ الحقيقة أن قادة المقاومة في الفلوجة يعتقدون أنهم إذا استطاعوا أن يطردوا القوات الأمريكية من الفلوجة، فإنه بإمكانهم أن يسيطروا على باقي العراق. وبالنسبة لهم، فإن إياد علاوى يمثل مصدر إزعاج مؤقت لهم، ولكنهم الآن مشغولون بطرد المحتل الأجنبي عن البلاد، وعندما يتحقق ذلك، فإن الساحة ستصبح مهيأة أمامهم إلى فرض سلطة شعبية، بالنظر إلى عدم قدرة الحكومة على السيطرة على مقاليد الأمور، فضلاً عن افتقادها الشرعية، وعدم رضاء الشعب عن توجهاته.